الأهرام

المصدر : الانبساط

التاريخ : ٥ أبريل ١٩٨٠م

دير شبيغل

المسلمون في الاتحاد السوفياتي

المناطق التي احتلها الروس في قرن تتجاوز مساحة أوروبا الغربية كلها ..

ان القوات المسلحة السوفياتية التي زحفت على افغانستان والتي يبدو انها تستعد للبقاء باستمرار هناك ، لا تدافع عن الطرف الخارجي لحدود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية فحسب ، بل وتدافع عن امن دائرة سلطتها الخاصة بها : فهي تدافع عن الجنوب السوفياتي المستعمر من قبل موسكو والذي يعيش فيه اكثر من ٥٠ مليون مواطن مسلم ضد المناضلين من الاسلام المتواجدين في كل من ايران وباكستان . اما بالنسبة لافراد الشرطة العسكرية السوفيات ، فقد اوكلت اليهم مهمة جديدة في افغانستان ، وهذه المهمة تتمثل في البحث عن افراد الجيش الاحمر المنحدرين من الجمهوريات السوفياتية الاسيوية ، الذين يبيعون جزءا من عتادهم الحربي ليشتروا به القرآن الكريم .

الحلقة الرابعة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

● هرتيون في مدينة سمرقند السوفياتية التي كانت في الماضي « عاصمة تيمورلنك » .

● زراعة القطن في جمهورية تركمنستان تغطي حاجة الاتحاد السوفياتي من هذه المادة ويبقى هناك جزء للتصدير .

لم تتمكن القيادة السوفياتية من ادراك مفهوم التجربة الايرانية واستيعابها ، تلك التجربة التي اثبتت ان التقدم المادي في البلاد لا يلعب الدور الهام في حياة المسلمين دائما . لذلك اعتبرت القيادة المذكورة بان الاسس والقواعد الاسلامية التي اثارت وحركت النهضة الاسلامية على حدودها الجنوبية غير جوهرية .

ومما لا شك فيه بان الافكار الاسلامية الوطنية في وسط اسيا تشكل قوة قائمة بحد ذاتها ، ولكن .. نظرا لتركيب الاتحاد السوفياتي من عدة شعوب مختلفة ، فربما لا تتمكن هذه القوة من تحريك دعائمه بشكل فعال في الوقت الحاضر ، ولكنها توقظ في نفوس العديد من الاسيويين السوفيات بانهم مستعمرون من قبل الروس .

ففي عام ١٨٧٦ ، أورد الكاتب الروسي « كانكوف » عبارات يؤكد فيها اخلاصه للقيصر ، لما يحمل في طياتها نوعا من الوفاء والاخلاص له حيث قال : « لم يكن وجودنا في اسيا يشبه هؤلاء الغرباء القادمين من مكان بعيد كما هو الحال بالنسبة للبريطانيين في الهند ، فقد كنا نشعر ونحن هناك باننا في منازلنا ، كما هو الحال وكاننا في موسكو » . وهذا هو نفس شعور الشيوعيين السوفيات الذين لا زالوا يعتبرون استمرار وجودهم في المناطق الاسيوية الجنوبية من الاتحاد السوفياتي على انهم يقومون بتنفيذ « مهمة عالمية » ، وهم يؤكدون هذه المقولة في كل مرة يحاولون فيها المحافظة على الانجازات التي توصلوا اليها ، عن طريق التمدد والتوسع .

فهل يعني ذلك العودة ثانية الى العبارة القديمة التي تقول « البحث عن حدود آمنة » والتي كان الروائي البرويسي يورك فون فارتينبورغ قد وصف بها عام ١٩٠٠ النهاية التي وصل اليها السوفيات في تمددهم في اسيا يا ترى ؟ ..

لقد بدات مسيرة موسكو باتجاه المناطق الاسوية التي سبق للمغول وان

الجديد .

أما بالنسبة للاوروبيين الذين كانوا يعيشون في الواحات الجنوبية من تركمنستان ، فقد احتفظوا بكيانهم وبقوا أقليات استنادا لسكان المدن هناك . وهنا شعرت الادارة القيصرية الروسية ان العناصر الروسية تختفي وسط بحر لا نهاية له من المستوطنين . لذلك عمدت الادارة لعملية « الترويس ـ جعل الشخص روسيا » في مناطقها الجنوبية وذلك بالوسيلة الاقتصادية . فقد كان الفلاحون في الواحات يزرعون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

القطن دائما ، ولكن بكميات قليلة وبنوعية غير جيدة .

فاعلنت الادارة القيصرية الروسية ثورة القطن في الجنوب بقيادة الجنرال كاوفمان ، فاستوردت البذور والالات الزراعية اللازمة لها من اميركا ولذلك لزراعة القطن في مساحات شاسعة جدا . وبالفعل تمكنت الادارة الروسية من تغطية نصف احتياجات البلاد من القطن المزروع في جمهورية تركمنستان، منذ اندلاع الحرب العالمية الاولى . أما اليوم ، فتغطي زراعة القطن السوفياتي الحاجة المحلية مع وجود كمية اضافية للتصدير ايضا .

وكانت جمهورية اوكرانيا مركزا لزراعة الحبوب والغلال التي يحتاجها الاتحاد السوفياتي . ولكن .. وبعد ان توقفت عملية التموين خلال اندلاع الحرب العالمية الاولى ونتيجة تجنيد العديد من الذين لم يصلوا لسن العمل انذاك ، نشبت في البلاد اضطرابات عام ١٩١٦ . واستطاع المستوطنون الروس بواسطة الاسلحة التي زودهم بها القيصر ، القضاء على الاضطرابات المذكورة .

استولوا عليها واخضعوا الروس تحت سيطرتهم بشكل ايجابي ومبكر تقريبا . ففي البداية تمكن القوقاز من اقتحام مناطق سيبيريا الخاوية من السكان ، حتى وصلوا الى شواطىء المحيط الباسيفيكي . ففي عام ١٦٤٦ ، وصل القائد القوقازي سيمبون دينهنيف الى المحيط من ناحية الشرق .

وتحت قيادة بطرس الاكبر ، وصلت القوات الروسية لاول مرة لصحراء البطاح العشبية الواسعة المعروفة اليوم بجمهورية كازاخستان . ووضع قسم من السكان البدو — عددهم لا يتجاوز عدة مئات من الالوف — المنتمين للعشائر الكازاخستانية الصغيرة والوسطى والكبيرة ، انفسهم تحت حماية الروس ، أما البقية الباقية ، فقد كان من السهل التخلص منها . فقد حدثت في كازاخستان ثماني ثورات طوال تلك الفترة ، انتهت بشكل دموي .

وعن مدى معرفة الروس المضعيفة بالشعوب التي تعيش على حدودها ، فتظهر من خلال تعاملهم من سكان كازاخستان . ففي مدى ١٢٠ عاما كان التتار في سانت بيترسبورغ يمثلون الكازاخستان . أما في قصر القيصر ، فقد كان كل قادم من جهة الشرق في نظرهم من « التتار » .

وعينت موسكو على المناطق المحتلة في اسيا اول حاكم عام في سنة ١٨٧٤ كان مقره في طشقند عاصمة تركستان وهو الجنرال كونسانتين بيتروفيتش كاوفمان ، وكانت مهمته تسيير امور المناطق التي تحتلها روسيا في اسيا ، الذي استطاع ان يضمن حدودها بشكل دائم عن طريق ادارته الذكية والفطنة .

وكان حاكم « فيلنا » هو الضابط المهندس الوحيد انذاك — وهو ابن ضابط من اديل في هول شتاين — اول من طبق احكام الشريعة الاسلامية ، وقد اكد ذلك عدد من المؤرخين البريطانيين الذين اجمعوا على أن الحاكم المذكور « قد خلق مرحلة من السلام والامن في اواسط اسيا ، كانتا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

على مدى مئات الاعوام غير موجودتين على الاطلاق في المنطقة » .

وفي عام ١٨٦٨ ، وخوفا من احتمال قيام امير بخارى بمهاجمته ، احتل الحاكم المذكور « سمرقند الذهبية » التي تعتبر جوهرة اسيا الوسطى ، وتقع في جمهورية اوزبكستان ، وكانت من ابرز المدن في العالم القديم ، ومن هناك انطلق الاسكندر الكبير ثم اكتسح تيمورلنك كافة اسيا وسيطر عليها .

ثم ما لبثت سمرقند ، عاصمة تيمورلنك ، ان سقطت بعد ان وقفت في وجه الروس ، وهللت احدى الصحف الصادرة في العاصمة للانتقام من سيطرة المغول عليهم لمدة تزيد على ٢٥٠ عاما. وبعد ذلك تحولت امارة بخارى الى محمية روسية .

واتجه الجنرال كاوفمان بعد ذلك صوب الغرب ، فاحتل خيفا وما حولها وكذلك قوقاند . وفي عام ١٨٧٩ وصلت القوات الروسية الى بحر قزوين « الخزر » حيث كانت توجد اخر قواعد للتركستانيين ، واجبروهم على التراجع حتى الحدود الايرانية . ولكن القوات الروسية فقدت ٢٠٠ قتيل وتكبدت ٢٥٠ جريحا خلال محاولة اقتحامها حصن « جوق ـ تيبي » التركماني ، مما اضطرها للتراجع عنه .

وخوفا من أن تؤدي الهزيمة المذكورة لتنشيط حركة ثورة التركمان الاخرين في المنطقة ، بعث القيصر الروسي بقيادة الجنرال سكوبيليف قوة عسكرية قوامها ١١ الف رجل و ٢٠ الف جمل لاحتلال حصن « جوق ـ تيبي » حيث تمكن الروس من الاستيلاء عليها وقتلوا حوالي ٦٥٠٠ من الرجال والنساء والاطفال .

ولكن ... بعد حدوث حمام الدم المذكور ، اندلعت ثورة التركمان ولم يجد القيصر المتدين انذاك نفسه سوى التوجه للصلاة والدعاء الى الله تعالى بالمحافظة على النجاح الذي حققته القيصرية الروسية وحمايته . وما ان وصل الروس لاحتلال مدينة مرف (في جمهورية تركمنستان) وكذلك مدينة كوشكا وسيطرت على طرفي الجبال في افغانستان ، حتى شعرت الامبراطورية البريطانية ان الهند ، التي كانت تعتبرها جوهرة تاجها ، قد اضحت مهددة ، ذلك لان القيصر الروسي قد نقض وعده لهم والقائل « بترك افغانستان خارج مجال السيطرة السوفياتية بالكامل » .

وكادت الحرب تندلع بين الامبراطوريتين انذاك . ولكن الازمة بينهما انتهت باتفاقية الحدود الموقعة بينهما عام ١٨٨٧ . وايدت هذه الاتفاقية تراجع الحماية البريطانية عن افغانستان مقابل توقف السوفيات عن توصلهم الوشيك لوضعها تحت حمايتهم بالتاكيد .

وبذلك استطاعت روسيا بسط نفوذها على منطقة واسعة ـ خلال اقل من قرن من الزمان ـ مساحتها اكبر من اوروبا الغربية ، ودفعت ثمن ذلك حوالي الف قتيل و ٣٠٠ جريح . وتحولت بذلك الى قوة عظمى في العالم واكبر قوة في قارة باكملها وشعروا بانهم « سادة » في مملكتهم .

وخلال الاعوام التالية لما حدث ، بدأت قوافل المستوطنين السوفيات تزحف باتجاه الاراضي الغربية الشاسعة التي احتلها السوفيات وانتشرت هجرة الشعوب عن طريق بناء خط حديدي عبر سيبيريا ، ثم تبعه خط اخر عبر قزوين واخره كان الخط الحديدي التركي حتى بلغ عدد المستوطنين في عام ١٩٠٨ حوالي ٧٠٠ الف مستوطن جديد .

ومن البدهي ان يحظ هؤلاء المستوطنون رحالهم في المناطق الجيدة . فخلال الفترة الاولى ، كان خمس السكان ، المنحدر معظمهم من روسيا يمتلك ٦٠ بالمائة من الاراضي الخصبة في اسيا المركزية ، أما السكان الاصليون من البدو ، فقد كانوا يضطرون دائما للاختفاء في مجاهل صحراء قراقوم الخاوية تقريبا حتى من البطاح العشبية للاستمرار في حياتهم المتدنية . وما هي بالفترة القليلة حتى شعرت قبائل الكازاخانيين انهم انصهروا مع المجتمع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

● الجنـرال كونستانتـين بيتروفيتش كاوفمان ، اول حاكم عام على المناطق التي احتلتها روسيا في اواسط اسيـا عام ١٨٧٤ .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية